



أوباما يغنى البلوز... لم لا، فالرئيس يجد الوقت للموسيقى في البيت الأبيض، يجيد الترفيه عن المدعوين، كما يجيد عض إيران بأسنان العقوبات، بعض النظام السوري بأسنان «العزلة». يجيد العزف على أوتار الأزمات، يتعالش مع «الربيع العربي» بلا أكلاف من دماء الأميركيين وجنودهم.

ولكن، تسقط صحافية أمريكية برصاص آلة القتل في سوريا، حدث ذلك بعد حفلة البلوز في البيت الأبيض. وإن كان من خطأ ارتكبه ماري كولفن، كالمصور الفرنسي ريمي أوشليك في مدينة حمص، فلعله اندفعهما بلا تريث ريثما تنجلி حقيقة من يقاتل من، ومن يُقتل، ومن يعارض!

أليست تلك مهمة رئيس الأركان الأميركي الجنرال مارتن ديمبسي الذي لا يعرف من هم معارضو النظام في دمشق و«ما طبيعتهم»؟! فيما يبدو رئيس جهاز الاستخبارات الأمريكية جيمس كلاير أكثراً دراية بـ«تشرذمهم». بل يبادر عملياً إلى إدانتهم، حين يقر أنهم سمحوا لـ«القاعدة» باختراق صفوفهم.

ديمبسي يعطي النظام نصف شهادة بحسن السلوك، فتصبح مسؤولية فصول المجازرة في حمص وغيرها، موزعة بين «إرهابيين» ومعارضين مسلحين وجنود مؤتمرين بالتصدي لـ«المؤامرة».

أوباما يغنى البلوز، ثكالي آلة القتل في سوريا لا يتجرأ على دفن الضحايا. أسنان العزلة الأمريكية، لا بأس، فمعدل القتلى يتضاعد، لكنه لا يتجاوز ربما خمسين شهيداً كل يوم. وحين يبلغ المئة، تنبري صحيفة في دمشق لتواجه الحكومة بـ«شجاعة»، وتهاجم التقصير في «استعادة دور الدولة» بعد هيبتها!

يغنى أوباما، يعزف نظام دمشق على أوتار اللحن الروسي... بوتين يمرّن عضلاته، يتذكّر أزمة الصواريخ في خليج الخنازير (كوبا)، يراهن على قفزه إلى كرسي الرئاسة بعد أيام، فيما لا يجرؤ أوباما على المخاطرة لأن شوطه طويل في معركة الانتخابات الأمريكية.

يصمت أردوغان بعد إدانات من العيار الثقيل قصف بها النظام السوري، يصفي إلى غناء أوباما ولحن الكرملين، يتربّث للتعرف إلى «أصدقاء سوريا» في تونس غداً، وربما نتيجة الاستفتاء على دستور سوريا جديد، يلعب على وتر تحجيم دور «البعث»... الاستفتاء سيمنح الروس ذخيرة في سلاح الانقضاض على شرعية المعارضة السورية وسمعتها.

أو ليست مفارقة، وراء كل الضجيج في الاشتباك الأميركي الروسي في مجلس الأمن والأمم المتحدة، أن تتشارك واشنطن وموسكو في التشكيك بالمعارضين وهويتهم وأهدافهم، ونياتهم؟ ضمير البيت الأبيض لا يتحمل «العسكرة»، لذلك ما زال يراهن على احتمال استجابة النظام السوري ضغوط «العزلة الناعمة»، كما تستمرئ موسكو إقناع العالم بأنها في كل ما

تفعله تمنع شرور «المؤامرة»... وبيان الدماء التي تخضب حمص وعشرات المدن والبلدات السورية تُسَكِّب على جسد النظام، في غفلة منه.

حتى الممرات الإنسانية مشبوهة لدى الروس، لذلك يرتبون الأولويات: تطبيق الإصلاحات وإنها العنف، ثم مساعدات إنسانية، من يعيش ينبع بها. ومن بابا عمرو إلى درعا وحلب ودمشق، ممر وحيد، إلى الموت.

كان أردوغان يتوعّد «النظام الطاغية» بأنه لن يقف متراجعاً، وهو بالفعل زاد عدد مخيمات اللاجئين الفارين من الجحيم. زايد إلساييليون على الأميركيين، تكهنوا بأسباب عدم دعودة النظام في دمشق، حتى اقتنعت «سي آي إيه» بقدرته الآن على الاحتفاظ بالسلطة... إلى حين. أما الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون فمنهمك بالبحث عنمن ترشحه مؤهلاته لمنصب المنسق الإنساني... العاطل من العمل.

وبين غرب لا يريد «التورط»، وشرق يرفض الانسياق إلى «قوة المؤامرة»، سورية تبحث عن «أصدقائها»، أهلها يفتشون عن مقابر... آلة القتل تلتقط وراء القصف الأميركي الروسي على شرعية المعارضة، وخلف حوار لا يعزف سوى ألحان جنائزية. وإن جاز للثاني بوتين مدفديف مقاومة «خديعة» أخرى في سورية، بعد ليبيا، واستعادة ما يعتبرانه كرامة «جريدة»، أليس من حق السوريين أن ينددوا في كل جنازة وظاهرة بالمؤامرة الكبرى على حريةهم وإنسانيتهم... باسم قتل «مؤامرة» القاعدة والأصوليين والخارجيين على إرادة صماء، تتوهم قدرةً على تصفية التاريخ؟ أو بما يغنى، بوتين يعزف لحن حوار جنائي، أردوغان يصغي... فلنحصي نحن العرب مأسينا بعد خيبتنا، شهوداً عاجزين بعم الكرامة، أمام مهنة شعبٍ يصر بشجاعته كل يوم على إسقاط وهم حوار، فات قطاره منذ شهور.

المصدر: أخبار الثورة السورية

المصادر: